كلمة ونظرة عين ... تعليق على ومضة لجمال الجزيري

أ. د. بهاء الدين محمد مزيد

رئيس قسم اللغة الإنجليزية

جامعة سوهاج، مصر

هناك

سألها بعفوية: "من أين أنتِ؟" تلعْثَمَتْ. ردَّتْ بحيادٍ: "من هُنَا"، وعيناها تشردانِ بعيدًا. (جمال الجزيري)

أخرجني هذا النّص القصير المكير من حالة وخم ألمت بي وهكذا تفعل النّصوص الجميلة وقليلة ما هي. أرغمني أن أوجّه وجهي حيث تشير تعابير الإشارة فيه. (سوف تبقى التعابير الإشارية deictic مفتاحا من مفاتيح كنوز اللغة البشريّة.)

عنوان الومضة "هناك" يحيل إلى مكان بعيد - بعيد من نقطة الحدث، من حيث الغائب الذي يشير إليه الضمير المستتر "هو" والغائبة التي يشير إليها الضمير المتّصل "ها" في "سألها" وتاء التأنيث في "تلعثمت" و"ردّت" والضمير المتّصل "ها" في "عيناها". وقد يكون بعيدا منك وأنت تقرأ فيشير إلى حيث يقع الحدث/ الحوار. إجابتها لم تكن عفوية كما كان سؤاله فقد تلعثمت قبل أن تجيب. إجابتها في ظاهرها بسيطة شافية كافية – "من هنا".

من المفترض أن يفهم السائل أنّ المسئولة تنتمي إلى المكان الذي يقع فيه الحوار، من النقطة التي جمعته بها. غير أنّ لغة الجسد وتعبير العينين يربك حساباته وحسابات القارئ. كيف يمكن أن تتصالح اللغتان لغة الحروف والكلمات ولغة العينين؟ هل تريد أن تقول "أنا من هنا حقّا لكنّني أتطّلع إلى هناك. لا أنتمي إلى هنا بل إلى مكان بعيد"؟ أم تريد أن تقول "أنا حقّا من هناك، من مكان بعيد، غير أنّه منّي قريب - فتشير إليه وكأنّها تعيش فيه "هنا"؟ لا بأس بأيّ من التفسيرين ولعلّ بلاغة الومضة تكمن في بقاء الإشارة عالقة بين "هنا" و"هناك"، بين مكان ينتمي إليه الجسد ومكان يهفو إليه القلب والروح.

obeikandl.com